بين الذكرى والواقع والمرتجى
الأبرشية الأنطاكية في أوروبا الغربية والوسطى

الأب مارسيل سركيس[1]

"الخدمة في الغربة أصعب من الخدمة في بلادنا!" كلمة طالما رددها أمامنا قدس الأرشمندريت غريغوريوس (صليبي) كاهن رعيتنا في باريس. لها صعوبتها ولها تعزيتها والمجد لله في كل حين. ماذا أقول عن هذا الحضور الذي أراده لنا المخلص في أوروبا، حضورٍ أواكبه وأسعى إلى مجاراته واستشفاف دوافعه منذ تسعة عشر سنة تقريباً. كم من وجوه ألفنا رؤيتها واستمتعنا بلقائها وأسماء حفظناها حتى غاب أصحابها وما غابت عن قلوبنا والألسن! جمَعَنا المسيحُ يسوع وقد اختلفت فيما بيننا الإنتماءات الوطنية والمناطقية والاجتماعية وكنا في تحدٍ دائم لأنفسنا وفي عشق متجدد لاكتشاف كنوز كنيستنا الأرثوذكسية في خصوصيتها الأنطاكية.

في سنين تواجدنا الأولى في باريس، في النصف الثاني من الثمانينات، كنا نتحلق حول كاهننا وراعينا بعد الذبيحة الإلهية في صالة الكنيسة اليونانية في باريس أو في أحد مقاهي الجوار ونتناقش بمواضيع شتى بجدية ومن ثم بخفة وضحك. أذكر أيضاً أن غيرتنا على كنيستنا أخذت تنمو فينا وتشد من أواصرنا حتى صرنا عضداً بعضنا للبعض الآخر وسنداً كل في اختصاصه وبحسب إمكاناته. في تلك الفترة، كان "أبونا" غريغوريوس يجوب أوروبا ليوطد أهلنا ويجمعهم بهدف تأسيس رعايا محلية مثل مرسيليا وَتُور وَبْلانمَنيل في ضاحية باريس وأيضاً جنيف في سويسرا ونواحي ألمانيا... كنا نحن نتحلق حول المائدة المقدسة لمساعدته في الخدمة أو نجتمع إلى رئيس جوقة الترتيل الأستاذ إيلى خوري لنتعلم ترنيم الألحان الكنسية حتى أننا في الأعياد وخاصة احتفالات الفصح المجيد كنا نتجاوز العشرة أو الخمسة عشر مرتلاً منشدين الصلوات بالعربية وباليونانية. ثمانية منا أقله تدرجوا لخدمة الكنيسة في السلك الإكليريكي: بعض في عمقها التاريخي وبعض في بلاد الإنتشار الجديدة. معظم من تدرجوا في هذه الخدمة الشريفة تابعوا إلى جانب دراستهم الأكاديمية دراسة في لاهوت الكنيسة الأرثوذكسية.

صعوبة العمل في بلاد الإنتشار تعود إلى عوامل عديدة ومتشعبة: منها المسافات الشاسعة وتوزُّعُ العائلات وانشغالها بهمومها اليومية وبُعَدُها في بعض الأحيان عن معرفة التقليد الكنسي. يزاد على هذا قلة الكهنة وحاجتهم إلى العمل لتأمين معيشتهم وحفظ عائلاتهم بالإضافة إلى رعايتهم بالروح للآخرين حتى يحفظوا ذكر المسيح المخلص في قلوبهم. لكن هذه الصعوبات لا تلغي الشعور الذي

[1] كاهن رعية القديس أغناطيوس المتوشح بالله في نيس – فرنسا التابعة لمطرانية الروم الأرثوذكس الأنطاكية في أوروبا الغربية والوسطى.

يثبِّت معظمنَا ألا وهو رغبتُنا في الالتزام بالإنجيل الإلهي في مجتمع ابتعد كثيراً عن المسيح المخلص بالرغم من الصلة التاريخية القوية والشهادات التي برزت على هذا الجزء من حوض البحر الأبيض المتوسط. هذا الالتزام الإنجيلي يتجلى الآن تواصلاً بين عائلاتنا التي استقرت في هذه البلاد – وبعضها من جيلين أو ثلاثة وربما أكثر – وتاريخ هذه البلاد وتقاليدها من جهة وتفاعلها مع تراثنا الكنسي الأرثوذكسي الأنطاكي من جهة أخرى. وهو عمل دقيق وحساس وجهد يومي إن من ناحية التأمل الفكري أو من ناحية الممارسة العملية مع تناول كل هذه المعطيات بعين الاعتبار، خاصة وأن الأرثوذكسية جذبت إليها العديد من العائلات التي لا تشاركنا أصولَنا ولكن صارت مشاركة لنا في الإيمان وفي انتمائنا إلى جسد المسيح المقدس أي الكنيسة المستقيمة الرأي.

نحن الآن ومنذ رقاد المثلث الرحمات المتروبوليت الأول لأبرشيتنا المطران غفرئيل (صليبي) نقول ونعمل بالصلاة والصبر منتظرين نعمة الروح القدس ومتأملين أن يأتينا من يعي صعوباتنا ويتفهم أوضاعنا ويهتم برعايتنا كأب، كروحاني وكمنظم متمرس. إنّ في أبرشيتنا، في مختلف الأقطار، طاقات وإمكانيات يمكن استخدامها بحكمة لتثبيت هذا البيت الذي أعطاه الله لنا في أوروبا الغربية والوسطى. رجاؤنا أن يدعم المجمع المقدس هذه الإستمرارية بقرار يذهب إلى تشديد الأواصر بين مختلف البلدان في الأبرشية الواحدة ويرسخ التوازن بين الجماعات التي تؤلفها إن من ناحية التأمل روحانياً وتاريخياً أو من ناحية التواصل مع الفكر اللاهوتي والعمق الوجداني الذي نحن منه وهو منا.

لقد خطت كنيستنا خطوات عملاقة منذ نهاية القرن التاسع عشر مما سمح لبطريركيتنا بالخروج من تقوقعها واستعادة شخصيتها تاريخياً ولاهوتياً وسنكمل الطريق بنعمة الله ومحبته الدائمة فإننا قياميون وأبناء الرجاء ندعى إلى دهر الداهرين. آمين.